

الأسرة والمجتمع وسائل الإعلام والتواصل المعاصرة أية علاقة؟ الدكتور حلوش مصطفى- جامعة سيدي بلعباس

مقدمة

تواجه الأسرة اليوم تحديات عديدة، اجتماعية وثقافية وأخلاقية، زاد من حدتها ما يشهده المجتمع من تحولات فكرية واجتماعية واقتصادية، متزامنة مع اتساع نطاق العولمة، والذي من مظاهره الانفتاح على الثقافات الأخرى الغربية والشرقية، بسبب تطور وانتشار وسائل الاتصال التكنولوجية. كالفنوت الفضائيات التليفزيونية، وشبكة المعلومات الدولية، ومن ثم فالأسرة اليوم مطالبة بمواجهة التحديات التي تفرضها عليها وسائل الإعلام والتواصل المعاصرة، دون أن تحرم نفسها من الاستفادة مما توفره هذه الوسائل الإعلامية والتواصلية من فوائد وخدمات، كل ذلك يدعو إلى التساؤل عن كيفية مواجهة الأسرة تلك التحديات، وما هو دور وسائل الإعلام المحلية السمعية البصرية خاصة في مرافقة جهود الأسرة في مواجهة تأثيرات وسائل الإعلام العالمية، وما دور الأسرة في التعامل مع ما يرد إليها من أفكار وقيم عن طريق وسائل الإعلام والتواصل الأجنبية؟

1- الدور الإيجابي لوسائل الإعلام والتواصل المعاصرة في حياة الأسرة والمجتمع:

تؤدي وسائل الإعلام والتواصل المعاصرة وظائف وأدوار عديد، ومؤثرة في حياة الأفراد والأسرة والمجتمع، ويمكن أن نحصى هذه الأدوار فيما يلي:
أ- توعية الأسرة بما يحيط بها من مشكلات اجتماعية وتربوية وصحية، ومساعدتها على حلها، وتبصيرها بما لها من حقوق، وما عليها التزامات، حماية لها من مؤثرات داخلية وخارجية.

ب- تدعيم دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية، عن طريق برامج تربوية والتوعية الاجتماعية.

ج- مناصرة الأسرة في قضاياها الأساسية من خلال عرضها على المجتمع وإبلاغ رسائلها إلى المجتمع عامة، وإلى المعنيين بشؤون الأسرة خاصة بهدف فهمها، وتقديم العون لها في تحقيق أهدافها المتعلقة بتماسك الأسرة، وانسجام أفرادها فيما بينهم (انسجام الأسرة داخليا) واندماجها مجتمعيًا في إطار ثقافة المجتمع الأصلية (انسجام الأسرة خارجيا)

د- تلبية حاجات أفراد الأسرة في التعرف على ما يجري في العالم من أحداث في كل مناحي الحياة: المعرفية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية... إلخ.

هـ - إعلام الأسرة بما يجري في محيطها المحلي و العالمي، وتمكينها من التواصل مع هذا المحيط بما يساهم في تطويرها مع الحفاظ على مبادئ المجتمع

والثقافة التي تنتمي إليها، فقد كسرت هذه الوسائل حواجز الزمان والمكان، وسرعت من وتيرة التفاعل الفكري والاجتماعي والثقافي.

و- البرامج التعليمية التي تقدمها وسائل الإعلام تمثل سندا تعليميا لإنجاح العملية التعليمية من خلال رفع المستوى التعليمي للتلاميذ والطلاب، وفي هذا المنوال يقول "ميالاري". "إن الإعلام الآلي هو تقنية في خدمة المشروع البيداغوجي" (1)، ويرى "حسين حمدي الطوبجي" "أن تكنولوجيا الاتصال اللاسلكي من بين مبادئ الهامة في التعليم توفير فرص التعليم مدى الحياة" طبعا هذا لمن له رغبة أو حاجة في تعميق معارف وتطوير خبراته. (2)

ز- تمكين الأسرة من استشراف المستقبل والإعداد له، حتى لا تكون الأسرة فريسة تقلبات اجتماعية واقتصادية... إلخ، وتغيرات ثقافية هي غير مهيأة لمواجهتها أو التكيف معها.

2- الدور السلبي لوسائل الإعلام والتواصل المعاصرة في حياة الأسرة والمجتمع:

إن أخطار وسائل الإعلام والتواصل المعاصرة على تفكير أفراد الأسرة، وقيمهم، وصحتهم النفسية، وعلاقاتهم الاجتماعية لم يعد خافيا، خاصة تلك الوسائل الشائعة الانتشار كالقنوات التلفزيونية الفضائية، وشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، ومن هذه الأدوار السلبية الخطيرة التي يكمن أن تعزى لوسائل الإعلام المعاصر ما يلي:

2-1- المجال الفكري والثقافي: إن وسائل الإعلام المعاصر، وعلى رأسها

التلفاز والانترنت بما تتميز به من قوة التأثير البصري والسمعي، يجعلها قادرة على توجيه أفكار أفراد الأسرة والمجتمع كبارهم وصغارهم الوجهة التي تخدم مصالح من يقومون على هذه الوسائل، وبما يتعارض مع ثقافة الأسرة المستمدة من ثقافة المجتمع، فالثقافة الالكترونية التي تروج لها البرامج الأجنبية تقلت من الرقابة، فتندفق المعلومات والقيم بدون انتقاء بما يعزز الغزو الثقافي الأجنبي.

2-2- المجال الاجتماعي: انصراف أفراد الأسرة معظم الوقت إلى مشاهدة

البرامج التليفزيونية، أو وسائل التواصل الالكتروني صار من أسباب ضعف العلاقات الاسرية والاجتماعية "فقد أحدثت وسائل الإعلام والتواصل المعاصرة عزلة وقطيعا اجتماعية بين أفراد الأسرة، وحتى بين أفراد المجتمع، "فاستبدل الأفراد الأهل والأصدقاء بأهل وأصدقاء افتراضيين يتواصلون عبر وسائل الإعلام والتواصل الالكتروني". (3)، وتشير نتائج دراسة قام بها "بورناس و هيل" إلى "أن استعمال الحاسوب الآلي نشاط فردي، قد يشكل هذا الجهاز خطرا يتمثل في عزل الطفل، وترجيح تنمية سلوكات مضادة للمجتمع" (4)

2-3- المجال السلوكي: إن الأبناء الذين يفتقدون علاقات اجتماعية قوية ومستقرة

بالعائلة والأصدقاء والبيئة المحيطة، والذين لا يخضعون لرقابة وتوجيه كافيين من الجماعة، قد تملأ برامج العنف التي يشاهدونها في التلفزيون الفراغ الموجود في

حياتهم إلى الحد الذي يعتبرون فيه الأفكار وسلوك الشخصيات التي تمثل أدوار العنف في الأفلام هي بمثابة موجبات لهم ونماذجاً للسلوك، فمشاهدة أفلام العنف من شأنها تكوين اتجاهات لدى المشاهدين خاصة فئة الأطفال والمراهقين في استعمال العنف في حل مشكلاتهم، فالأفراد في هذه المرحلة العمرية من حياتهم معروفون بميلهم للتقليد، مما يجعلهم طعماً سهلاً للبرامج الإعلامية غير الملائمة، وهذا ما أشارت إليه نتائج الدراسة التي قام بها الباحثون "إرون، هيزمان، لافكويتز ووالدير" " هناك ارتباط إيجابي بين مشاهدة الأطفال في سنهم التاسع للقطات العنف التي بثت على شاشة التلفاز والسلوك العدواني لهؤلاء الأولاد في سنهم التاسع عشر." (5)

2-4- مجال الصحة النفسية: في المجال النفسي كثيراً ما تسهم برامج التلفزيون، والمضامين التي تبثها مواقع الانترنت في تكوين اتجاهات غير مرغوب فيها لدى أفراد الأسرة، خاصة نحو بعض القضايا والأشخاص، كما أنها تكرس الخمول الذهني، والتبذل الانفعالي وبدرجة أخص عند مشاهدة أفلام العنف، والأفلام التي تعج بالسلوكات غير الاجتماعية وغير الأخلاقية. إن الإدمان على برامج التي تبثها وسائل الإعلام والاتصال يستنفذ من طاقات الأطفال والشباب الذهنية والنفسية، وأحدث الدراسات في جامعة "هارفارد" "تبين أن مشاهدة الشباب التلفاز لفترات طويلة أكثر من ساعتين ونصف ساعة يومياً يزيد من احتمالية حصول الكآبة لديهم بعد سنوات، وكل زيادة ساعة في المشاهدة

اليومية ترفع من نسبة حصول الكآبة بـ 8% ، فإن الأشخاص الذين لديهم استعداد للكآبة هم أكثر ميولاً للتلفاز والمزيد من الكآبة" (6)، كما تشير بعض الدراسات "أن الانقطاع المفاجئ لمدمني التلفاز يؤدي إلى أعراض انسحابية مثل القلق والعصبية المفرطة" (7).

2-5- المجال التربوي: إن الأطفال يقضون ساعات طويلة في مشاهدة البرامج الترفيهية خاصة، وهي في أحيان كثيرة تتميز بهزلة مضمونها المعرفي والتربوي، وأمام جاذبية الصور والألوان يضحى الطفل متلقياً سلبياً لمجموعة من الأفكار والقيم والمعايير الغربية عن بيئته، إلى جانب هدر الوقت الذي كان من الأجدي استغلاله في القيام بالواجبات الدراسية المنزلية، وترى الباحثة "ماري وين" "أن التلفاز مع ما يعود به على الطفل من فوائد، وما له من إيجابيات فهو أشبه بالمخدرات، فهو يسلب الطفل المشاهد إرادته، ويعوده الاسترخاء العقلي، ويقلل من قدرته على التركيز والفهم، وهذا ما يؤثر على تحصيله الفكري ونمو شخصيته" (8). وإن البرامج الوافدة من المجتمعات الأخرى عبر وسائل التواصل والإعلام الفضائية من شأنها "أن تربك صيرورة التنشئة بجعلها مزدوجة المرجعية" (9)

3- دور الأسرة في مواجهة التحديات التي تفرضها عليها وسائل الإعلام والتواصل المعاصرة:

على الأسرة اليوم أن تنظر في تراجع دورها التربوي لصالح مؤسسات اجتماعية كالإعلام، ولا تدع هذه الوسائل المؤثرة الفرصة لتشكيل الأذهان وإنتاج المجتمع كما تريد، وأن تدرك أن التنشئة السليمة للأبناء هي التي تكون تحت إشراف الآباء والأمهات عن طريق التوجيه والإرشاد، ولقد كشفت دراسات حول الصحة النفسية من "وجود علاقة بين أنماط التفاعل الأسري، والعلاقات الأسرية وبين ما يصاب به الأبناء من اضطرابات نفسية وانحرافات سلوكية" (10). وعليها أن تعي أنها مهددة بتفككها عاطفيا على الأقل بسبب ما يأتيها من أفكار وقيم من الخارج عن طريق الفضائيات ومواقع الانترنت، وفي الوقت ذاته يجب أن تعي أهمية استفادتها من التطور الحاصل في مجال تكنولوجيات الإعلام والاتصال، وتسخيرها لتحقيق أهدافها، وتلبية حاجات أبنائها إلى فهم ما يحيط بهم محليا وعالميا، ولتحقيق ذلك لا بد من توفر القدرة لدى الأسرة على التمييز بين الجوانب السلبية والإيجابية فيما تنقله وسائل الإعلام والاتصال التكنولوجية من محتويات، ثم اتخاذ بعض الإجراءات في مواجهة المد الثقافي الخارجي و من بين هذه الإجراءات ما يلي:

أ- إيجاد قدر من الاتفاق بين الوالدين في النظرة إلى وسائل الإعلام وفي أساليب التعامل معها.

ب- انتقاء البرامج التلفزيونية ومرافقة الأبناء أثناء مشاهدتها، وحجب المحطات والمواقع التي تقدم برامج غير المناسبة للأطفال والمراهقين، والتي تمس قيم المجتمع الدينية والثقافية والاجتماعية، وتحديد الوقت المناسب لمشاهدة الأبناء للتلفاز، استخدام الانترنت.

ج- تشجيع الأسرة أبنائها على الطاعة، وممارسة الرياضة والهوايات المفيدة، وتدريبهم على استثمار وقت فراغهم بما يعود عليهم بالنفع، بدلا من مجالسة التلفاز والانترنت لفترات طويلة.

د- مساعدة الأبناء على فهم مضامين ما يقدم لهم من مادة إعلامية، حتى لا يكون نصيبهم من

المشاهدة فقط صور جذابة لا معنى لها عندهم.

هـ جعل استخدام وسائل الإعلام مع الأبناء نشاطا عائليا، ومناقشة الأبناء الأطفال فيما يشاهدونه ويسمعونه من برامج.

4- دور المجتمع في مواجهة التحديات التي تفرضها وسائل الإعلام والتواصل المعاصرة على الأسرة والمجتمع:

لا شك أن غزو وسائل الإعلام والاتصال السمعية البصرية للأسرة والمجتمع أمر واقع، فلا أحد ينكر تأثير هذه الوسائل في بناء العقليات، وتشكيل الاتجاهات، وتكوين السلوكات، هذا ما يفرض على الأسرة والمجتمع الوعي بأهمية هذا التأثير ومضامينه واستراتيجياته، والاستعداد لمواجهة وتوجيهه بما يخدم أهداف المجتمع والأسرة والأفراد. وهذا يتطلب من المجتمع تدعيم إنتاج المضامين الثقافية

والإعلامية المحلية، تتناول قيم وتاريخ وحضارة المجتمع، فلا يمكن مواجهة ما يتدفق من الخارج عبر وسائل الإعلام والاتصال التكنولوجية من أفكار و قيم وسلوكات مع بقاء المجتمع في وضعية المستهلك لما يرد إليه عبر تلك الوسائل المهيمنة.

ورغم أن وسائل الإعلام والاتصال المعاصرة أصبحت في عالمنا اليوم وسطا افتراضيا للتنشئة الاجتماعية، إلا أنه على المجتمع بكل مؤسساته خاصة الأسرة والمدرسة أن تعزز دورها الأساسي في رعاية الأفراد وتأهيلهم اجتماعية، وصياغة شخصية الناشئين بالشكل الذي يجعل شخصيتهم سوية متوافقة مع ذاتها والبيئة الاجتماعية التي تعيش في كنفها. وثمة حقيقة يجب توضيحها، ألا وهي أن تجاهل التحديات المرتبطة بوسائل الاتصال الحديثة أو التراخي في مواجهتها يجعلها تتسع وتترايد، كما أن التهويل من مخاطر هذه الوسائل يقدم صورة مخالفة للواقع قد تضر أكثر مما تنفع، وهذا ما يجعل التمسك برؤية معتدلة ومتوازنة خلال التصدي للتحديات الثقافية المختلفة أمرا مطلوباً.

وأخيرا يمكن القول إن تقوية شبكة العلاقات داخل الأسرة وفي المحيط العائلي والمجتمعي يؤمن الأسرة من مخاطر التأثيرات السلبية لوسائل الاتصال الحديثة، ويتيح لها استغلال هذه وسائل بشكل يحقق أهدافها خاصة التربوية منها.

الهوامش:

(1)-Rachel Cohen,(1987) Les jeune enfants la découverte de l'écrit et l'ordinateur, presses universitaires de France.

(2) حسين حمدي الطوبجي (1983) التكنولوجيا والتربية، دار القلم، الكويت، ص149

(3) سكينه إبراهيم بن عامر(2010) رؤية مستقبلية لأدوار وسائل الاعلام في تمكين الأسرة العربية من أدوارها استراتيجة مجلة البيت الليبية نموذجاً، مؤتمر الأسرة والإعلام العربي، المجلس العربي للطفولة والتنمية.

(4)-Rachel Cohen,(1987) Les jeune enfants la découverte de l'écrit et l'ordinateur, presses universitaires de France.

(5)- Ernest. R. Hilgard, Rita L. Atkinson , Richard C. Atkinson, traduit par David Bélanger (1980), Introduction à la Psychologie, Edition Etude Vivante, Montréal P376.

(6) محمد عبد الكريم الشوبكي، (2012) تأثير التلفاز على حياتنا، Ejabat. Google .com

(7) محمد عبد الكريم الشوبكي (2012) تأثير التلفاز على حياتنا، Ejabat. Google .com

(8) أحمد محمد معتوق(1996) الحصيلة اللغوية ، دار عالم المعرفة، الكويت، ص 98

(9) هدى علي علوي، 2010 دور الإعلام العربي في تعزيز ونشر الاتجاهات المعاصرة لأسرة، مؤتمر الأسرة والإعلام العربي، المجلس العربي للطفولة والتنمية.

(10) أحمد محمد مبارك الكندي(1993) علم النفس الأسري، مكتبة الفلاح، ص18

المراجع

- 1-أحمد محمد مبارك الكندي(1993)، علم النفس الأسري، دار الفلاح، الكويت
- 2-أحمد محمد معتوق(1996) الحصيلة اللغوية، دار عالم المعرفة، الكويت
- 3-حسين حمدي الطوبجي (1983) التكنولوجيا والتربية، دار القلم، الكويت.
- 4- محمد عبد الكريم الشوبكي (2012) تأثير التلفاز على حياتنا، [www. Wathakhar. net](http://www.Wathakhar.net)
- 5-هدى علي علوي (2010) دور الإعلام العربي في تعزيز ونشر الاتجاهات المعاصرة للأسرة، المجلس العربي للطفولة و التنمية، قطر
- 6- سكينه إبراهيم بن عامر(2010) رؤية مستقبلية لأدوار وسائل الإعلام في تمكين الأسرة العربية من أدوارها إستراتيجية مجلة البيت الليبية نموذجا، المجلس العربي للطفولة و التنمية، قطر
- 7- Ernest. R. Hilgard, Rita L. Atkinson , Richard C. Atkinson, traduit par David Bélanger (1980), Introduction à la Psychologie, Edition Etude Vivante, Montréal Paris.
- 8-Rachel Cohen,(1987) Les jeune enfants la découverte de l'écrit et l'ordinateur, presses universitaires de France.